من أدبنا المجهول — شاعر يرثى ولده بديوانه

اقتراح القريح واجتراح الجريح

لأبي الحسن الحصري [1]

[للأستاذ الزيات عزاء وسلوة]

للأديب السيد أحمد صقر

— ٣ —

نموذج من شعره :

قال أبو الحسن علي الحصري من قصيدة — وهي الأولى —

حاشاك من نار على الأحشاء ... يزداد ضعفاً حرها بالماء
عزيتني فيما ترى وعزوتني ... للصابرين ولات حين عزاء
من لي بأجر الصابرين وأعظمي ... موهونة من أعظم الأرزاء
هل مستطيع أن يكفكف دمعه ... من لا براح له على البُرَحاء
لهفي على ريحانة راحت إلى ... مثوى ثواب ليت فيه ثوائي
سالت حشاشة نفسه من أنفه ... فشهدت منه مصرع الشهداء
ونظرت في قطع الرعاف فلم تعط ... حكم النبية حيلة الحكماء
فاذا أراد الله ميتة مدنف ... أخفى على الآسي دواء الداء
داواه من أدواه حتى قال لي ... لا تأتني من ذا الردى بدواء
لا أشتكي أني حرمت إجابة ... لولا شعوب لدَعّ عنه دعائي
والخير فيما اختار خالقه فقد ... آلت به الضراء للسراء
ولقد يَسُرُّ الله بالبأساء في ... أحكامه ويضر بالنعماء

* * *

عرضت له تفاحةٌ نفاحة ... بعضُ الأماء فرد بالأيماء
ولو استطاع القول قال مشافها ... تفاح جنات الخلود شفائي
عبد الغني لك المسرة غائبا ... ولي المساءة مصبحي ومسائي

وقال من قصيدة :

كان عبد الغني للعين نورا ... ولقلبي هدى وللعيش طيبا
كان شيبي به شبابا فلما ... بان رد الشباب مني مشيبا
كنت في غربتي كأني به في ... وطني ، فانقضى فمدت غريبا
لم يدع فقده لغناي معنى ... فخلا آهلا وضاق رحيبا
لست أنسى مقامه ومقامي ... وكلانا مثل القتيل خضيبا
أنفه ينثر العقيق وعيني ... تنثر الدمع بالعقيق مشوبا
ضمني شاكيا إلى فقلبي ... كلما يشتكي يطير وجيبا
وبودي لو احتملت فداه ... عنه ذاك الضنى وتلك الكروبا
لم أطق فيه حيلة غير أني ... مذ قضى نحبه ألفت النحيبا
مات من كنت أقطع البيد جرا ... ه وأرجو المنى وأخشى الخطوبا
ما أعز الحياة للمرء ! ما أبـ ... ـعد آماله وأدنى شعوبا
ما أقل الوفاء ، ما أضعف الطا ... لبَ في ذا الزمانِ والمطلوبا
يا حبيب الالٰه لولا المنايا ... لشفى منك ما أعل الطبيبا
يوم ناديتَ : (فرج الله كربي) ... إنني اشتقت مسجدي والأديبا
ولِداتٌ سبقتهم لحقوني ... صار من كان غالباً مغلوبا
طال سقمي فارفع دواتي وأقلا ... مي ولا تمح لوحي المكتوبا
فاذا ما أفقت أدركت من فا ... ت وعادت عنقاؤهم عندليبا)
قُلتَ ما قلت ثم زاد سقام ... ودم غادر البياض شحوبا
فجرت عبرتي وأحسب نفسي ... فجرت ، كان برّها أن تذوبا
ولدي ! كيف نستوي ؟ انا في حرّ ... الرزايا وأنت في ظل (طُوبى)
أنت حيث المقربون فأبشر ... وسل الله أن أراك قريبا
خضمت بعده رقاب لداتٍ ... كان فيهم معظما ومهيبا
كان يهدي قلوبهم ثم ولى ... فمعوا الآن أعينا وقلوبا
حق لي أن أشق قلبي بكاء ... لا أوفيك إن شققت الجيوبا

وقال :

إن قلوبا وجبت ... حق لها أن تجبا
مثلك يا عبد الغنيّ (م) البرّ لن أنتجبا

وقال من قصيدة :

يا نور عيني فقدتُهْ ... ففي الفؤاد وجدتُهْ
ياكوكبا لقبوني ... بالبدر يوم ولدته
لم يهد ركني سناه ... حتى خبا فلحدته

(١) راجع العددين ١٥١ و ١٥٢ من الرسالة

أنت النجيب ولكن أبى الردى ما أردته
حلت يد الدهر عقداً قد كنت من قبل شدته
أعارنى منك علقا ثم اقتضى فرددته
بل سرتى فيك ربى وساءنى فحمـــدته
تقاصر اليوم باع للفخر فيك مددته
سهرت بعـدك ليلى وطالما قد رقدته
وكم نضحت بدمعى حر الحشا لو بَرَدته
يارب وف المرا . دِى بولده ماوعدته
لاضيع الله أجرى فأى وجد وجدته
أيوم مصرعه أم يوم الحساب شهدته ؟
كان ابن تسع ولكن فى الأكثرين عددته
لاحبذا العيش إنى على الممات حسدته

* * *

عبـد الغنى مقيدى من الغنى ما أفدته
بيمنه كنت سهما نصبت لليث صدته
وما زرعت رجائى فى الصلد الا حصدته
يا ابنى الذى كان يبنى مجدى وإن كنت شدته
حططتنى يوم أودي ت من منيف صعدته
قميص مصطبرى من قبـــل عليك قددته
وفى جوارك أحبب ت مضجعى لو سهدته
لعل قربك يشفى كربى كما قد عهدته
إنى وربى هـدانى لنوره فتبعتـــه
ما غاض بعدك ثكلى إلا بكيت فزدته

وقال :

بكيت من سكن فى أضلعى سكنا
لو عاش لى لكفانى الدهر أوقاتا
فى كل وقت على فقديه أذكره وربما نسى الأحباب أوقاتا

وقال من قصيدة :

دهر حوادثه شتى الأحاديث فاسمع بما شئت عن نوح وعن شيث
تغرنا دارنا الدنيا بزخرفها ونحن فى طلب للموت محثوث
تُوفِّىَ الخلف الزاكى وعشت كما
ترضى العدى عيش مكروب ومكروث
حتى أعاف شرابا لست أمزجه بعبرتى وطعاما غير مغلوث
وكنت فى جنـــة حفت جوانبها
بالزرع والنخل والأعناب والبوث
فأصبحت يوم أودى وهى خاوية جرداء من كل مغروس ومحروث
ويلاه ويلاه لا أشفى بتثنية حتى أزيد ولا أشفى بتثليث
بكيت مستسقياً للدمع حين جرى
فلم أزد نار قلبى غير تأريث
أحب لقياه والبقيـــا لأندبه
فيا شعوب اعجلى إن شئت أو ريثى

* * *

أهم بنبشى قبرك الطيب الثرى
لعلى أستشفى وإن حرم النبش
كأنى وقد أودعتك القبر طائر
كسير جناح لا فراخ ولا عش

الى العبر

قد كنت هيمان مهموماً بلا جلد فزدت ضعفين فى همى وتهيامى
عهـدت ليلتك البيضاء نيرة فـا لها كللت عينى بأظلام
حتى تناسيت ماعودت من فرح وقُبحُ يوم يُنَسى حسن أيام
فالبست سوى الأحزان سابغة ولا نحرت سوى إنسانى الدامى
ولا برزت لزوارى مخافة أن أساء منهم بطلق الوجه بسام
وراقل فى جديد كان يرفل فى مثاله ابنى غداة العيـد مذ عام

* * *

حبيبَ نفسىَ لو أعطيت ساكنها
أصاب نحرى وأخطا نحرك الدامى
كأنى لم أكلم منك نابغة ولا رأيتك ملء العين قدامى
ولا سمعتك تتلو الذكر فى سحر بصوت داود فى إفصاح همام
تخايل فيـك رائقتى محاسنها سَرَّت بيده ولم تسرر باتمام
الحمد لله عدل منك ما نفذت به القادير من نقض وإبرام

سيد أحمد صقر

حاشية — أتعمت سهوا ترجمة الحمقاء على أنها ترجمة للجاحظ والصواب حذفها (أنظر الرسالة ١٥١ ص ٨٩٢)